د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد بجامعة الباحة

الطفولة.. والتنشئة الدينية

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان وتؤثر في تكوين شخصيته. وللتنشئة السليمة في تلك المرحلة تأثير إيجابي ينعكس على سلوك الأطفال وذلك عند تعاملهم مع الآخرين.

وغالبا ما ينشغل الآباء بالسعي على الرزق، وتوفير متطلبات الحياة المادية، وتوفير سبل العيش الكريم من مأكل وملبس ومسكن ورفاهية؛ ظنا أنهم بذلك قد قاموا بواجباتهم تجاه أبنائهم على أكمل وجه.

وهناك جانب مهم في التربية لا يقل أهمية عن الجانب المادي، وهو الجانب الروحي في تربية الأبناء، فلابد من تنميته وإذكائه لدى الأبناء وغرسه في نفوسهم، بأن نرسخ في نفوسهم منذ الصغر العقيدة الصحيحة الصافية التي تتمثل في الخوف من الله ومراقبته في السر والعلن، وتعليمهم فضائل الأخلاق وآداب الاستئذان والاحترام، وتشجيعهم على الجهر بالحق وقول الصدق دائما.

والشعور الديني لدى الطفل يمكن تعميقه بالتربية، وذلك بغرس القيم الدينية والأخلاقية لديه منذ صغره، ورفع المعاني الإيمانية، وتبصير الطفل بنعم الله تعالى وعجائب قدرته وإبداعه في خلقه واتصافه بصفات الكمال، كما يجب تعليم الطفل مبادئ الأحكام الفقهية حسب كل مرحلة من عمره، وتبصيره بالحسن والقبيح من الأعمال والأخلاق، وتنوير فكره بسيرة الرسول ﷺ وسيرة الصحابة والتابعين الصالحين بما يتناسب مع مداركه العقلية واستعداداته الفكرية.

فقد ورد في الحديث قوله ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه أحمد).

ويجب أن نعلم الطفل العبادات كلها منذ الصغر، ونعلمهم تأديتها بالصورة العميقة التي ينبغي أن تكون عليها، حتى تساهم في تنمية التطور الروحي لعقول صغارنا، وفيما بعد يجب ربط هذه الصلوات والعبادات بأصلها وكيف تطورت على هذه الصورة ومدى الترابط بين شكل العبادات ووجود الله في الكون وفي أرواحنا معا. فيمكن ربط المكان مع الصلاة تقربا لوجه الله تعالى.

ولابد أن نكلم أطفالنا عن إيمانهم وعن قيمهم الأخلاقية وعن عقيدتهم، وعلى الآباء والمربين أن يطوروا إيمان هؤلاء الصغار بطريقة عصرية وأمينة وصادقة، فالإيمان الحق مطابق للتقاليد القويمة وموافق لعملية التقرب إلى الله والإخلاص في عبادته. كما يجب على الآباء والمربين بناء قاعدة دينية قوية لدى الأطفال وهم في سن مبكرة، ولا تنتهي هذه الرابطة أبدا حتى بعد الخروج من المسجد.

وعلى الآباء تعليم أطفالهم أن كل أفعالهم اليومية تمجد اسم الله وتدخل في نطاق الحب والواجب، وحين يكون الله في داخل كل منا فإننا سوف نطبق كلنا السلوك القويم.

كما يجب على الآباء أن يهتموا بمراقبة أبنائهم والعمل دائما على اقتلاع الجوانب السلبية في سلوكهم ومحاربتها عن طريق بيان خطورتها مثل: الكذب - سوء الظن - السباب... الخ. على أن يكون ذلك كله في إطار من الرفق واللين.

ولا أحد يستطيع أن ينكر أن هناك ارتباطا بين الدين والتربية، لذا فمن الضروري إيقاظ إحساس الأطفال بقدرة الله تعالى عن طريق تشجيع ميلهم التلقائي إلى استطلاع عجائب الطبيعة التي تدل على عظمة الله مثل زراعة بعض النباتات وملاحظة نموها وتنوعها، والإجابة عن أسئلتهم بصدق وبما يلائم نضجهم حتى يفهموا الدين أكثر وينمو إدراكهم الديني.

وللقيم أهمية عظيمة في حياة الفرد والمجتمع بكل فئاته، فالمجتمع الملتزم بالقيم، مجتمع يجمع بين الرقي والأمان، ويحظى بالاحترام والنهضة في آن واحد، إذ تقف التربية والتعليم في مقدمة الوسائل التي يمكن أن تستخدم في تنمية وتطوير القيم لدى الفرد.

لذلك فالاهتمام بتنمية قيم الصدق والتسامح والتعاون والإحسان للجار وضبط النفس عند الغضب والولاء والانتماء والتفاني في العمل لدى الفرد وتحفيزه على اكتساب المعرفة وكذلك مهارات التفكير الناقد كل ذلك يجعله مواطنا صالحا يخدم وطنه. لذلك يجب تنمية القيم وتعميق الإيمان بالله داخل أطفالنا.. فالطفل يشعر بالراحة عندما يستطيع الرجوع إلى قوة عظمى.

إن مرحلة الطفولة هي المرحلة المناسبة لتعليم أطفالنا أصول دينهم ومبادئه البسيطة وقيمه؛ لأن هذا يعطيهم الإحساس بالأمان والطمأنينة.